محالفة ثلاثية ضد العالم

الأستاذ نقولا الحداد

بعد أول اجتماع بين تشرشل وروزفلت ألقى تشرشل خطبة في مجلس العموم ، قال فيها إنهما اتفقا على أن يكون في العالم هيئتان دوليتان كبريان تحلان محل جامعة الأمم المرحومة : الأولى غربية لجميع دول أوروبا وأميركا . والثانية شرقية على مثالها . والهيئة الأولى تؤلف من روسيا وانجلترا والولايات المتحدة كدول أساسية ، ثم تنضم إليها الدول الأخرى تابعة أو ثانوية لها. ولم يقل شيئاً عن الشرقية .

ووافق ستالين على هذا .

ومن ثمَّ نشأت عبارة « الأقطاب الثلاثة » فقلنا حينئذ إن هذا النظام هو تحالف ثلاثة ضد العالم كله لأنه فهم من نحو تلك الخطبة أن الكلمة النافذة في تلك الهيئة الغربية هي لهذه الدول الثلاث وأن للدول الصغرى رأياً استشارياً فقط . فما تقرره دول الأقطاب ينفذ .

ولما صدر ميثاق سان فرنسيسكو الأخير وفيه دستور « مجلس الأمن » ظهر أيضاً أن الرأي الأول الأعلى هو لهؤلاء الدول الثلاث . وأما سائر دول الاتحاد الدولي وعددها ٤٨ دولة فتعتبر ثانوية ورأيها ثانويا . وقد أضيف إلى الدول الثلاث الرسمية فرنسا والصين . وبهذه الإضافة سقط مشروع « الهيئة الدولية الشرقية » التي نوه بها تشرشل في خطبته المشار إليها . وكان يظن أن الصين تكون رئيسة هذه الهيئة الشرقية .

وقد ألحقت الصين وفرنسا بهذا المجلس كدولتين دائمتين كدول الأقطاب الثلاثة لا لأنهما دولتان كبريان فلابدَّ من أن يحسب حسابهما إذا اختلفت دولات الأقطاب فتعدّلان الميزان — ليس لهذا السبب فقط ، بل لأن فرنسا المخلّفة التي قوَّمتها انجلترا على قدميها ، وهي على أنف ألمانيا من جهة الغرب ، لازمة لكل من الدولتين روسيا وانجلترا اللتين تخشيان مناوءة ألمانيا لهما إذا استطاعت أن تعود إلى المناوءة. ولهذا تجاذبتها روسيا من ناحية وانجلترا من ناحية أخرى كل منهما تخطب ودها . فغريبٌ أن قوتين تتنافسان في الالتجاء إلى ضعيفة . فمن حسنات الخلاف القائم الآن بين الأقطاب أو من مساوئه أن الضعيفة استقوت وتدلّلت وعادت تشمخ بعد أن تمرَّغ أنفها في حمأة الذل والهوان .

وأما الصين فتجاذبتها دول الأقطار جميعاً لأنها المرعى الخصيب للاستثمار التجاري فلابدَّ من التملق لها . على أن النفوذ الأول والاخر لدول الأقطاب الثلاثة أولا وآخراً .

وكان من مناقضات الديموقراطية أو مفارقاتها في « مجلس الأمن الدولي » السانفرسيكي أن المجلس يرفض أية شكوى من أية دولة صغيرة أو ثانوية ضد دولة كبرى رئيسية إذا كانت واحدة من الدول القطبية ترفضها — هذا بحسب دستور المجلس المذكور .

وقيل إن سبب هذا الرفض المخالف للعدل والحق والديمقراطية أن الدولة الرافضة قد تطلب النزال إلى الميدان . فتحاشيا للجنوح إلى الحرب سنَّ هذا القانون الغريب العجيب . وهو موافقة الدول الكبرى للدولة الرافضة على الرفض حتما .

إذاً لا ينظر مجلس الأمن في شكوى دولة صغيرة من دولة كبرى بل ينظر فقط في شكوى صغيرة من صغيرة . والدولة الكبرى فوق القانون أو في حصانة القانون .

إذن فمجلس الأمن هذا هو مجلس تحكُّم الأقوياء بالضعفاء . هو محالفة ثلاثية قوية ضد جماعة من الدول الصغرى . ولا يؤمن ظلم هذا المجلس إلا إذا وقع خلاف شديد بين الأقطاب الثلاثة أو الأقطاب الخمسة . فأين الأمن الذي ينتمي له هذا المجلس القطبي العظيم ؟ وكيف يطمئن العالم إلى أمن دولي يترنَّح بخيطٍ واهٍ في الهواء ؟

إذا كان لمجلس الأمن شأن في فض مشاكل الدول فما معنى أن يجتمع الأقطاب الثلاثة الآن لكي يفضوا مشاكل الأمم الشرقية من طنجة ، والدردنيل ، وأردهان ، والبلقان ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين الخ فضلا عن مشاكل أوروبا نفسها ؟ إذن ما هي وظيفة « مجلس الأمن » الذي يحسبونه أعظم نتاج لمؤتمر سان فرنسسكو إذا لم يكن من شأنه أن ينظر في هذه المشاكل ؟

نرى أن مصالح العالم كله أصبحت رهن قرارات مؤتمر الأقطاب الثلاثة . ومن يدري أن هذا المؤتمر الثلاثي لا يعقد كل حين بعد آخر لتسوية مشاكل الأمم ما دام أعضاؤه متفقين . فيكون أمره الأمر .